قبر طه حسين مهدد بالهدم... وجبانات مصر التاريخية تواجه بلدوزر الجسور

23 - مايو - 2022

القاهرة ـ «القدس العربي»: لا يزال الجدل يتواصل في مصر، مع إقدام السلطات المصرية على هدم مقابر ومعالم تاريخية في إطار خطة لتطوير القاهرة تتضمن بناء جسور، في وقت يواصل فيه الأثريون والفنانون التشكيليون المصريون إطلاق حملاتهم لإنقاذ جبانات مصر التاريخية.

وآخر هذه المقابر تعود لطه حسين، عميد الأدب العربي، ويوسف صديق، أحد أعضاء مجلس قيادة ثورة 23 يوليو/ تموز 1952.

وقالت مها عون، حفيدة طه حسين، إن أسرتها وجدت علامة حمراء موجودة عند مدخل القبر، وإنه لم يتسنَ لهم الحصول على معلومات تفسر ذلك.

وتابعت، في تصريحات متلفزة، أن محافظة القاهرة نفت هدم المقبرة لإنشاء محور يحمل اسم الصحافي الراحل ياسر رزق، غير أنهم فوجئوا بوصول معدات إلى الشارع الذي يقع خلف المقبرة.

وأضافت أنّ الأسرة علمت أن هناك تخطيطا لتطوير المنطقة، لكن لا يوجد تخطيط نهائي، وأن تلك العلامات تعني أنه من المحتمل حدوث هدم، غير أنها أشارت إلى عدم تلقيهم معلومة رسمية في هذا الخصوص.

وذكرت أن هدم المقبرة سيكون مؤلما على المستوى النفسي، مطالبة بتقديم توضيح لهم بما

سيتم تنفيذه، مضيفة: «نطلب عدم هدم المقابر. دولتنا عظيمة ولدينا مهندسون عظماء يمكنهم بمنتهى السهولة البناء والتطوير بعيدًا عن المقابر».

وتزامن ذلك مع تصريحات لليلي صديق، ابنه يوسف صديق، حيث نشرت على صفحتها صورة لمعدات بجانب مقبرة أبيها، وعلقت على الصورة: «من أمام مدفن الوالد وطه حسين، إلى الآن لم يصلنا أي تنبيه أو إنذار رسمي».

فعلة شنعاء

وتحت وسم «أنقذوا جبانات مصر» عبر مثقفون وخبراء آثار عن استيائهم مما يتردد عن نية الحكومة إزالة قبر الأديب الراحل، طه حسين، الملقب بعميد الأدب العربي، لإنشاء طريق رئيسي جديد.

وحذرت أستاذة التخطيط العمراني، جليلة القاضي، من هدم المقابر، وكتبت على صفحتها على «فيسبوك»: «وضع علامة حمراء على مدفن عميد الأدب العربي، وأحد عمالقة الأدب والفكر في العالم العربي، الدكتور طه حسين تمهيدا لإزالته».

وتابعت: «من هذا الذي تجرأ وقام بهذه الفعلة الشنعاء، ومن هذا الذي أعطى أمرا بتلويث حائط مدفن العميد، ومن هذا الذي اتخذ القرار؟

هل تم ذلك عن جهل بقيمة القامة التي ترقد هنا أم عن عمد للقضاء على ذاكرة العظماء، حيث سيحل كوبري ياسر رزق محل مدفن العميد، هذا يوم نكبتنا المصرية».

وزادت: «إذا تركنا جريمة الإزالة تمر، مثلما مرت قبل ذلك جرائم إزالة مدافن ابن خلدون والمقريزي، فنحن فعلا لا نستحق هؤلاء ولتنقل أسرة طه حسين رفاته إلى بلد آخر يعرف قدره، فقد صارت الجنسية المصرية سجنا والانتماء لتراب الوطن والدفن في ثراه خيار تحفه مخاطر العدم والنسيان والبهدلة».

وفي وقت سابق، قال اللواء إبراهيم عوض، نائب محافظ القاهرة، إنّ المحافظة لم يتم مخاطبتها بشكل رسمي بمكان المحور أو مساره أو عرضه حتى الآن.

وكانت خبيرة الآثار المصرية مونيكا حنا من أوائل الأشخاص الذين تداولوا تلك الصور، ولفتت في تغريدة، إلى أنها خطوة «تمهد لإزالة مقبرة عميد الأدب العربي، لصالح إنشاء جسر يحمل اسم الصحافي الراحل ياسر رزق.

وغردت: «أتمنى أن يكون النفي حقيقيا لأن قبل ذلك، هدمت مقابر دون علم المحافظة، شركة المقاولات تعمل دون إنذار».

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تتعرض فيها مقابر لشخصيات تاريخية للهدم في إطار خطة

لإنشاء جسر أو طريق في القاهرة التاريخية، فقد سبق وتضمن مخطط لإنشاء كوبري جديد في منطقة مقابر الإمام الشافعي، إزالة مجموعة من المدافن، بينها مقبرة الملكة فريدة زوجة الملك فاروق الأولى، وبعض مقابر الأسرة العلوية التي حكمت مصر حتى منتصف القرن الماضي، إضافة لمدفن عائلة محمد راتب باشا، سردار «الجهادية» الجيش المصري سابقا، في عهد إسماعيل باشا، ومدفن قاسم باشا رسمي محافظ مصر سابقًا، ومقبرة أمير الشعراء أحمد شوقي، وشاعر النيل حافظ إبراهيم والشيخ المقرئ محمد رفعت، وغيرهم من أعلام مصر.

كما لم يسلم صاحب أعظم مشروع معماري عمراني في مصر الحديثة، ورائد التعليم في مصر، ومؤسس المنظومة التعليمية الرسمية الأولى، علي باشا مبارك، من إزالة مدفنه ضمن التطوير، حيث كشف الكاتب المهتم بالتراث ميشيل حنا، عن دخول مقبرة علي مبارك ضمن خطة الإزالة.

المخطط الكامل

ونشرت مجموعة «إنقاذ جبانات القاهرة التاريخية» على «فيسبوك» التي تضم عددا من الأثريين والمهتمين بتاريخ القاهرة، المخطط الكامل لإنشاء عدد من الطرق السريعة التي من المفترض أن تخترق الجبانات، وستؤدي إلى تغيير شكل الشوارع واختراع ميادين أو جزر من الآثار تتنافى مع تشكيل المدينة القديمة.

وكانت محافظة القاهرة أعلنت، في فبراير/ شباط 2021، عزمها نقل مجموعة من المقابر في محيط الإمام الشافعي والإمام الليثي، في إطار خطة تطوير مسار آل البيت، إضافة إلى مجموعة من المقابر التي تقع في مسار كوبري السيدة عائشة الجديد الذي يربط بين ميدان السيدة عائشة ومحور الحضارات. وحسب السكرتير العام المساعد لمحافظ القاهرة، إبراهيم عوض، فإن 2760 مقبرة ستُزال وتُنقل إلى أماكن أخرى في مدينة 15 أيار/ مايو.

الأثريون والفنانون التشكيليون أطلقوا حملات لإنقاذها

ولفت إلى إزالة 47 عقارا و23 محلا من ميدان السيدة عائشة ونقل 136 أسرة إلى مدينة الأسمرات.

وفي 24 أكتوبر/ تشرين الأول الماضي، تم كشف مذكرة بشأن المدافن التي وقعت في نطاق الإزالة في مشروع تطوير محور صلاح سالم من محور جيهان السادات حتى حديقة الفسطاط بامتداد 6 كيلومترات، تتخللها جبانات المجاورين وباب الوزير وسيدي جلال والسيدة نفيسة والطحاوية والإمام الشافعي وسيدي عمر، وكذلك التطور بمحور الشهيد وإعمار مدينة نصر. وقد لوحظ أن عناوين المنتفعين لبعض المدافن قديمة وأن المنتفعين الحاليين لم يستدل على عناوينهم.

وأعلنت المذكرة الإجراءات الواجب اتخاذها في تلك الحالة، وذلك بعد عرضها على وكيل النائب العام المستشار محمد محب، الذي أفاد أن من حق محافظة القاهرة في حالة صدور قرار من رئيس الوزراء بتحويل المنطقة للمنفعة العامة القيام بعملية نقل الرفات بمعرفة المحافظة والإدارات المختصة لتنفيذ قرار مجلس الوزراء.

أهمية خاصة

وعن الناحية التاريخية لتلك المنطقة، قال زيزو عبده، مؤسس مبادرة «سيرة القاهرة» إن للجبانات أهمية خاصة، فهي جزء لا يتجزأ من القاهرة التاريخية، مشيرا إلى أن التعامل معها لا بد أن يكون بنظرة واسعة وتراثية شاملة لاحتوائها على مظاهر معمارية وفنية وخطوط تأسيسية وأعلام ومشاهير.

لم تمثل الجبانات مقرا للمتوفين فقط، ولكنها تمثل للأثريين مصادر للرصد في الكتابة التاريخية، حسب عبده، الذي قال «نرصد من خلالها تاريخ أولاد البلد من خلال كتابتهم على شواهد القبور».

وزاد: «بنظرة أفقية على تلك الجبانات والأحواش الموجودة في القرافة، فكل منها يحتوي على مظاهر فنية مهمة، ووحدات زخرفية. فالقرافة منذ العهد الإسلامي وحتى أسرة محمد علي وبعدها وحتى الأربعينيات والخمسينيات، سنجد أن هناك كتلا حجرية فنية موجودة على كل المقابر من خلال شواهد القبور التي تميزت بها أسرة محمد علي، ونصوصا تأسيسية منذ العهد العثماني غير الآثار المملوكية المتناثرة».

وفي عام 2020 أثير جدل بشأن عدد من المقابر في منطقة منشأة ناصر في قلب القاهرة التاريخية، يُزعم أنها «جبانة المماليك» وتعود لنحو 5 قرون من أجل إنشاء جسر.

وتعد مقابر المماليك أقدم جبانة إسلامية في مصر، وتحتل موقعا متميزا وسط العاصمة، وكانت تسمى قديما بـ«صحراء العباسية» إذ وقع اختيار المماليك عليها لتكون مضمارا لسباقات الخيل، وفي النصف الأول من القرن الثامن الهجري بدأ ملوك مصر وأمراؤها بإنشاء المساجد والخوانق بهذه المنطقة والحقوا بها مدافن لهم.

ومنذ عام 2014، دشنت الحكومة المصرية أكثر من 600 جسر ونحو 21 طريقا جديدا، بتكلفة أكثر من 85 مليار جنيه (5.3 مليار دولار) حسب وزارة النقل.

لكن تلك المشاريع قوبلت بانتقادات من جمعيات مهتمة بالتراث.

فرغم تأكيد السلطات المصرية اهتمامها بالقاهرة التاريخية، يقول مهتمون بالتراث إن السلطات المصرية أزالت عشرات المدافن، من بينها مقابر شخصيات تاريخية، في منطقة «قرافة المماليك».وهي مقابر سجلت ضمن قائمة التراث العالمي لليونسكو وتعود للقرن السابع

الميلادي، وتضم مدافن سلاطين وأمراء من المماليك وشخصيات تاريخية وكثير من العامة.

ونفت الحكومة مرارا أن يكون أي من المدافن التي يجري هدمها مسجلا في عداد المباني الأثرية، مؤكدة حرصها على الحفاظ على المناطق الأثرية.

لكن في السنوات الأخيرة، كررت اليونيسكو شكواها من «الإهمال الذي تتعرض له المنطقة، وهددت بشطبها من قائمة التراث العالمي، ونقلها لقائمة التراث المعرض للخطر» وفقا لما نقلته وكالة الأنباء الفرنسية.

لم تقتصر عمليات الهدم على القاهرة التاريخية، فالشهر الماضي، وبدعوى تأمين مقر رئاسة البلاد، قررت الحكومة المصرية نزع ملكية فندق «هليوبوليس بالاس» التاريخي الواقع في حي مصر الجديدة شرقي العاصمة القاهرة.

وأصدر رئيس مجلس الوزراء المصري، مصطفى مدبولي، قرارا بنزع ملكية الفندق المكون من طابقين ويضم مطعم غروبي العريق، لأغراض المنفعة العامة المرتبطة بتأمين المنطقة المحيطة بالمقر الرئاسي في قصر الاتحادية.

وفي 17 فبراير/ شباط الماضي، أضاف مجلس الوزراء، أغراض تأمين وحماية قصور الرئاسة ضمن أعمال المنفعة العامة التي تستلزم نزع ملكية العقارات، علما أنها كانت تقتصر من قبل على مشروعات النقل والمياه والري والطاقة، إلى جانب أعمال التخطيط العمراني وتحسين المرافق العامة.

واستندت التعديلات التي أجراها مجلس الوزراء، إلى قانون نزع الملكية الصادر عام 1990 وإلى قرار جمهوري صدر عام 2018 يفوض رئيس مجلس الوزراء في مباشرة اختصاصات رئيس الجمهورية المنصوص عليها في قانون المنفعة العامة والتي تجيز له نزع الملكية لتحقيق المنفعة العامة.

كلمات مفتاحية

تامر هنداوي

اترك تعليقاً

لن يتم نشر عنوان بريدك الإلكتروني. الحقول الإلزامية مشار إليها بـ *

التعليق *

الاسم *

البريد الإلكتروني *

إرسال التعليق

إشترك في قائمتنا البريدية

أدخل البريد الالكتروني *

اشترك

حولنا / About us
وظائف شاغرة
أعلن معنا / Advertise with us
أرشيف النسخة المطبوعة

أرشيف PDF

النسخة المطبوعة
سياسة
صحافة
مقالات
تحقيقات
ثقافة
منوعات

لايف ستايل

الإقتصاد

رياضة

وسائط

الأسبوعي

جميع الحقوق محفوظة © 2022 صحيفة القدس العربي

by